

بقناع رياضي هذه المرة.. تغلغل قطري في اقتصاد تونس

دعم الانتقال الديمقراطي في تونس بالأموال يافطة الدوحة لتعزيز النفوذ والتعاطف الشعبي



اعتمد التغلغل القطري في تونس منذ الإطاحة بالرئيس الراحل زين العابدين بن علي على مرتكز أساسي يتمثل في ضخ الأموال تحت مسميات عديدة حتى تبسط الدوحة نفوذها عبر الهيمنة تدريجيا على مؤسسات حيوية إما على ملك الدولة أو المصادرة أو شركات في القطاع الخاص، ليصل الأمر هذه المرة إلى الرياضة، مما يثير التساؤلات بشأن الدوافع الحقيقية من ذلك والتي يبدو أنها لا تخضع لحسابات المنطق بقدر ما تخضع لحسابات سياسية قوامها كسب النفوذ والتعاطف الشعبي.

لهذا أي تأثير يذكر على ما يبدو، لا بد من طرح عدة تساؤلات لفهم تلك الخطوة، التي قد تحمل الكثير من المخاطرة، وهي لماذا اختارت الدوحة هذا المجال في هذا الوقت؟

مزيج من الدوافع

لم يكن مستغربا أن تقدم قطر، الدولة الصديقة للإخوان المسلمين والمدافعة عنهم منذ نشأتها، كافة أشكال الدعم لأصدقائها في تونس، فقد راهنت عليهم بقوة للسيطرة على كافة مفاصل الدولة لواء الفترة السيئة، بالنسبة لها، قبل تفجر ما يسمى بـ"ثورات الربيع العربي"، ومن ثم تعزيز نفوذها وكسب التعاطف تحت يافطة النهوض بالاقتصاد.

ولئن كانت هذه التحركات ومنذ اليوم الأول بعد انتفاضة يناير 2011 تتلبس بغطاء استثماري في معظم الأحيان، بتعلة دعم المسار الديمقراطي الناشئ وضخ التموليات في شرايين الاقتصاد، ولكنه، على النقيض، أظهر الاهتمام الأساسي لقطر وهو دعم الإسلاميين لتمكينهم من الحكم.

ويبدو هذا الأمر مفهوما، إذ أن اهتمام القطريين بتونس نابع من نقطتين أساسيتين، الأولى تتمثل في أن علاقة الدوحة لم تكن على ما يرام مع بن علي نظرا للميول الإخوانية لقادتها وأيضا بسبب قناة الجزيرة، التي شكلت صداعا مزمنًا للنظام السابق دفعته إلى سحب السفير عدة مرات، وصولا إلى قطع العلاقات مرتين في عامي 2006 و2008.

أما الأمر الثاني، فهو نكايته، وهو السعودية والإمارات، والمتان كانتا ترفضان أي تغيير في خارطة السياسة في تونس، وهي معارضة ضمنية لمخطط الولايات المتحدة المتعلق بإعادة تشكيل الشرق الأوسط، حيث كانتا تتمتعان بعلاقات أقوى نظرا لدعمهما لبن علي ولتطور شراكات الأعمال في ما بينها، وخاصة تلك التي جمعت مستثمرين إماراتيين مع أصحابه ومقربين من نظامه.

وخلا السنوات التي تلت سيطرة النهضة على السلطة، فضلت قطر أن تنفق مبالغ ضخمة جدا في تونس مع تقسيمها بين خزينة الدولة وخزائن الأحزاب والجمعيات والشخصيات القريبة منها، وينطلق هذا الاختيار من رغبته في تسويق نفسها كدولة صديقة ورعاية



رياض بوعزة
صحافي تونسي

تونس - لا تفوت قطر أي فرصة في كل مرة تواجه فيها ضغوطا مهما كانت أسبابها، للتأثير في المشهد الديمقراطي الوليد في تونس وتمكين تيار الإسلام السياسي ممثلا في حركة النهضة، من الاستمرار في الحكم، وهذه المرة عبر استغلال وضعية أحد أبرز أندية كرة القدم شعبية في البلاد لعقد صفقات مدافعة، اعتبر متابعون أنها قد تشكل منعطفا لمبار أخرى.

ومع أن قطر تمكنت طيلة السنوات العشر الأخيرة من ضخ مليارات الدولارات كاستثمارات أو بالاستحواذ على شركات تونسية تعمل في قطاعات حساسة مثل الاتصالات والمصارف والطاقة، وهذا سبب لظلم آثار السجلات السياسية، خاصة من قبل التيار الليبرالي، حول تركيز الدوحة على هذه المجالات بالذات، إلا أن أكثر إثارة للاهتمام هو توجيه قطر أنظارها إلى المجال الرياضي من بوابة النادي الأفريقي لكرة القدم المازوم، والذي يعد من أقدم أندية البلاد.

وقبل الغوص في تفاصيل التوجه الغريب بعض الشيء، لأنه لأول مرة يتم التركيز على الرياضة التونسية من قبل القطريين رغم وجود محاولة سابقة من مجموعة أوريديو للاتصالات لكن لم يكن

أبرز الاستثمارات

- 2020 الخطوط القطرية تبرم أول عقد رعاية مع ناد رياضي وهو الأفريقي
- 2019 مجموعة ماجدة تستحوذ على حصة الدولة في مصرف الزيتونة
- 2014 شركة أوريديو تستحوذ على تونيزيانا أول شركة خاصة للاتصالات
- 2011 شركة الديار القطرية تبني منتجع أنانتارا الصحراوي في ولاية توزر

التبسات في هندسة العلاقات

تركيا على مقاليد السلطة. وحتى اليوم تسعى الدولة الخليجية الطامحة للخروج بأخف الأضرار من أزمته الاقتصادية، فتح كافة الأبواب الاستثمارية لجني الأرباح عبر استغلال الفرص المتاحة أمامها نتيجة ضعف اقتصاد تونس المحتاج إلى الدعم.

وأولى تلك العمليات انطلقت في أواخر عام 2011 من خلال شراء أرض عقارية تقع في مدينة توزر جنوب البلاد لتمسح 40 هكتارا بمبلغ مليوني دولار لبناء منتجع أنانتارا الصحراوي والبالغ تكلفته نحو 47.2 مليون دولار، وتم تدشينه في ديسمبر الماضي، بعد تأخر دام لأشهر قالت شركة الديار القطرية، الجهة المنفذة للمشروع، إنه لأسباب فنية.

وأكثر الصفقات إثارة للتساؤل حتى الآن هي صفقة استحواذ مجموعة أوريديو القطرية في عام 2014 على شركة تونيزيانا، التي أسستها مناصفة كل مجموعة أوراسكوم تليكوم المصرية والشركة الوطنية للاتصالات الكويتية في عام 2002، وهي أول كيان خاص يعمل في مجال الاتصالات بتونس.

وكانت نبراس بتونس للطاقة قد استحوذت في أبريل 2018 على 60 في المئة من شركة قرجاج التونسية المملوكة للدولة، التي تملك إحدى محطات توليد الكهرباء في العاصمة. وقالت الشركة في بيان حينها إن شركة هولندية مملوكة لها بالكامل، لم تذكر اسمها، استعملت عملية الاستحواذ على الحصة في الشركة التونسية، دون الكشف عن قيمة الصفقة.

قطر أنفقت مبالغ ضخمة لتسويق نفسها كدولة راعية للانتقال الديمقراطي ومساعدة النهضة على شراء السلم الاجتماعي

وقد اعتبرت نبراس، وهي كيان مشترك بين شركة الكهرباء والماء القطرية وقطر القابضة المملوكة للحكومة، إن عملية الاستحواذ تعتبر علامة لدخول الشركة سوق الطاقة التونسية للمنافسة فيها وبداية لتأسيس وجودها الأول في شمال أفريقيا، ما يعني أن الدوحة تخطط للسيطرة على مكان أنشطة الطاقة في بلد يعاني من أزمة في الأمن الطاقوي.

وإثناء تدشين المنطقة الحرة بين قردان يوم 7 مارس 2019، قال مصدر في وزارة التجارة لـ"العرب" حينها، رفض الكشف عنه هويته لحساسية الموقف، إن مسؤولي النهضة يمارسون ضغوطا لتحويل شركة الكهرباء الحكومية إلى شركتين لتمهيد الطريق أمام سيطرة الدوحة على الكيان الذي سيتكفل بإنتاج الطاقة والاستثمار، بينما يبقى الكيان الدولة التونسية في شركات حكومية منذ سيطرة الإسلاميين المدعومين منها ومن

الريح المادي من وراء صفقاتها مع الأندية، وفي حالة الخطوط القطرية يبدو الدافع سياسيا أكثر منه رياضي. ووسط ذلك الجدل، ربما تكون الدوحة في مهمة للبحث عن منفذ جديد لا يضعها في مسارات حركة النهضة المراقبة من طرف طيف واسع من التونسيين، فالاستثمار والمساعدات هي وسيلة الضغط والتأثير الأولى بالنسبة لها لكن كيفية استعمال هذه الوسيلة هي المحدد لهذه البوصلة.

وتأتي هذه الشكوك استنادا على معطيات ووقائع قديمة، فقد سبق وأن تعرضت الدوحة، التي تلاحقها شبهات فساد بشأن استضافة منديال كرة القدم 2022، فضلا عن هضم حقوق العمال الأجانب في المنشآت التي تشييدها، لرفض واسع من قبل جمهور نادي باريس سان جيرمان الفرنسي الذي اشتراه جهاز قطر للاستثمار في 2011.

أخطبوط الأعمال

قد تكون هذه الشراكة الرياضية مدخلا لأشياء أخرى تمهد لعقد صفقات جديدة، لأنه لأول مرة تهتم شركات قطرية برعاية ناد تونسي. وقد ربط البعض ذلك بما حصل مع خليفة كايد المهدي رجل الاستخبارات المقرب من أمير قطر الشيخ تميم بن حمد، والذي يتقمص شخصية رجل أعمال، حيث قام بعمليات تحويل أموال مشبوهة لجماعات إرهابية في ليبيا من تونس تحت غطاء المساعدات.

وحتى تتمكن من إبعاد كافة الشبهات عن تمويلاتها، تعمل قطر على تضليل الرأي العام عبر زرع أخطبوط من الشخصيات تستخدمها في الواجهة.

ولعل من أبرز تلك الأسماء الباكستاني فيكتور نظيم آغا، وهو يحمل الجنسية القطرية، ويتنقل بجواز سفر دبلوماسي، ويعمل في تونس تحت غطاء شركة سياحية اسمها "لا سيغال".

وكل الدلائل تشير إلى كون نظيم آغا هو مهندس صفقة استحواذ مجموعة ماجدة المملوكة للشيخة موزة على حصة الدولة التونسية في مصرف الزيتونة المصارف، والذي كان يملكه صخر المطاري صهر بن علي، حيث باعت مجموعة الكرامة القابضة التونسية في فبراير 2019 أسهم الدولة في المصرف وكذلك شركة التامين "الزيتونة تكافل" للمجموعة القطرية بنحو 132 مليون دولار فقط.

وربما يكون رجل الأعمال الباكستاني - القطري المقرب من نظام الدوحة عرب صفقة شراء أسهم الدولة في شركة إسمنت قرجاج، التي أنشئت في عام 2008 وكان يملكها بلحسن الطرابلسي صهر بن علي، باعتبار أنه يشغل منصب المدير العام لهذا الكيان المصارف، وهو بعد إضافي للتأكيد على أن هناك منهجية في السيطرة على الشركات الحيوية والمحقة للعوائد.

وبدأت عمليات شراء قطر لمساهمات الدولة التونسية في شركات حكومية منذ سيطرة الإسلاميين المدعومين منها ومن

من جمهور النادي حذروا من التسلسل القطري وتوجسوا من أهدافه الحقيقية خاصة وأن الخطوط القطرية سبق وأن دار الحديث حول فشلها في الحصول على امتياز يُمكنها من شراء أسهم في الخطوط الجوية التونسية الحكومية.

ولم تتطرق وسائل الإعلام المحلية باستفاضة لإبعاد هذا الاستثمار، وتم حصره فقط في كونه رياضيا وعمولا به في العالم، لكن من المرجح أن تشهد الفترة المقبلة محاولات أعمق لفهم طبيعة وخفايا نهم القطريين المغامرين على الرياضة التونسية لاسيما وأن نفس النادي سيرم صفقة رعاية أخرى خلال أسابيع مع البنك الوطني القطري بقيمة تقدر بنحو 6 ملايين دولار.

وفي محاولة لفهم هذا المنحني، قالت مصادر سياسية وأخرى رياضية تونسية في تصريحات متفرقة لـ"العرب"، إن القطريين يستغلون كعادتهم الأزمات المادية التي تعيشها الكثير من القطاعات المتعثرة والمغلسة في تونس، حيث وجدوها فرصة سانحة للاستثمار في السياسة عن طريق كرة القدم، ومن خلال أحد أقطاب اللعبة الأشهر في البلاد. وإثبات تلك التبريرات قالوا إن النادي الأفريقي أصلا معاقب من قبل الاتحاد الدولي لكرة القدم (فيفا) وأنه غير مخول له الدخول في مشاركات قارية، ويفترض أن تبحت أي شركة راعية بالأساس إلى

لانقلابها الديمقراطي، وفي الوقت ذاته تقوية حركة النهضة ومساعدتها على شراء السلم الاجتماعي.

صفقات مربية

في خطوة فاجت الشوارع الرياضي التونسي، نشر عبدالسلام اليونسى رئيس النادي الأفريقي منتصف أغسطس الماضي، مقطع فيديو على حسابه في فيسبوك يعلن فيه عن إبرام "أكبر عقد رعاية في تاريخ النادي" مع الخطوط الجوية القطرية، بعد مفاوضات انطلقت قبل أشهر كان طرفها وديع الجري رئيس الجامعة التونسية لكرة القدم (اتحاد اللعبة)، ونظيره القطري الشيخ حمد بن خليفة بن أحمد آل ثاني.

ولم يخف اليونسى سعادته بهذه الصفقة نظرا لأن الأفريقي يعاني من مشاكل مادية كبيرة خلفها رجل الأعمال والسياسي سليم الرياحي بعد استقالته من رئاسة النادي ثم انتقاله إلى فرنسا لأسباب لا تزال تثير الجدل حتى اليوم. وقد قال اليونسى آنذاك إنها "بادرة أولى للخروج من هذا المأزق وأن الصفقة بعيدة كل البعد عن منطق الحسابات السياسية". ورغم أن قيمة العقد ليست كبيرة بمقاييس رعاية الشركات للأندية الرياضية الشهيرة إذ لا تتجاوز 8 ملايين دولار، لكن تنشطاء وعددا كبيرا

أدوات دولية محدودة للسيطرة على تكاثر النازحين

لتدفقات أكبر نحو البلدان الأكثر تقدما". ويصنف السجل التهديدات من الأمم المتحدة ومصادر أخرى، جمعها معهد الاقتصاد والسلام، في تقييم ثمانية تهديدات للبيئة والتنوّج بالدول والمناطق الأكثر عرضة للخطر.



ستيف كيليا

العوامل المناخية والصراعات ستفقد آثارا اجتماعية مدمرة

والنتيجة هي تقييم قائم على التحليل لعدد التهديدات التي تواجهها كل دولة من 150 دولة شملها التحليل، فضلا عن قدرتها على تحملها.

وفي حين أن البعض مثل الهند والصين أكثر عرضة للتهديد بسبب شح المياه في العقود المقبلة، يواجه البعض الآخر مثل باكستان وإيران وموزمبيق وكينيا ومدغشقر مزيجا خطيرا من التهديدات فضلا عن تقلص القدرة على التعامل معها.

المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين في يونيو الماضي. وما يزيد من تعقيد هذه الأزمة التوقعات الجديدة التي أعلن عنها الأربعاء معهد الاقتصاد والسلام، هو مركز أبحاث يصدر مؤشرات سنوية عن الإرهاب والسلام.

وأظهر تحليل المعهد أن سجل التهديدات البيئية على مستوى العالم والتي تجعل أكثر من مليار شخص يواجهون خطر النزوح بحلول عام 2050 تشمل النمو السكاني السريع وعدم الحصول على الغذاء والمياه وزيادة التعرض

وبالمقارنة مع بيانات مفوضية اللاجئين حتى منتصف هذا العام، فقد أدت العوامل البيئية والصراعات إلى نزوح نحو 30 مليون في العام الماضي، بحسب تقرير معهد الاقتصاد والسلام. وقال ستيف كيليا مؤسس معهد الاقتصاد والسلام "ستكون لهذا الأمر آثار اجتماعية وسياسية كبيرة ليس فقط في العالم النامي ولكن أيضا في البلدان المتقدمة حيث سيؤدي النزوح الجماعي

لنحذ - تختلف أدوات كل حكومات العالم في مواجهة ظاهرة النزوح وفق طبيعة الظروف الأمنية والصراعات العسكرية وحتى التقلبات المناخية، غير أن هناك إجماعا على أن تلك الأدوات لا تزال محدودة لمعالجة هذه الأزمة المتفاقمة وذلك بالنظر إلى التوقعات بتكاثر أعداد المهاجرين خلال السنوات الثلاثين القادمة.

ولا تدخر المؤسسات الدولية والمنظمات الإنسانية جهدا في انتقاد دور الدول في التعاطي مع هذه المشكلة المزمنة، بينما جبين المجتمع الدولي لا يقتر خجلا وعدد النازحين قد بلغ اليوم حوالي 80 مليون شخص، وفق أرقام كشفت عنها

النازحين في مواجهة ظاهرة النزوح وفق طبيعة الظروف الأمنية والصراعات العسكرية وحتى التقلبات المناخية، غير أن هناك إجماعا على أن تلك الأدوات لا تزال محدودة لمعالجة هذه الأزمة المتفاقمة وذلك بالنظر إلى التوقعات بتكاثر أعداد المهاجرين خلال السنوات الثلاثين القادمة.

ولا تدخر المؤسسات الدولية والمنظمات الإنسانية جهدا في انتقاد دور الدول في التعاطي مع هذه المشكلة المزمنة، بينما جبين المجتمع الدولي لا يقتر خجلا وعدد النازحين قد بلغ اليوم حوالي 80 مليون شخص، وفق أرقام كشفت عنها

النازحين في مواجهة ظاهرة النزوح وفق طبيعة الظروف الأمنية والصراعات العسكرية وحتى التقلبات المناخية، غير أن هناك إجماعا على أن تلك الأدوات لا تزال محدودة لمعالجة هذه الأزمة المتفاقمة وذلك بالنظر إلى التوقعات بتكاثر أعداد المهاجرين خلال السنوات الثلاثين القادمة.

الفقراء يدفعون الثمن الأكبر في الكوارث